

**الاستشراق الاسكندنافي وتفسير القرآن الكريم**

**دراسة نقدية لكتاب هاريس بيركيلاند**

**(معارضة المسلمين الأوائل لتأويل القرآن)**

**د / محمد بن سالم حسين الشغيبي**

**أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد**

**قسم الدراسات الإسلامية - كلية الشريعة وأصول الدين -  
جامعة الملك خالد (المملكة العربية السعودية)**

**Scandinavian Orientalism and The Exegesis of  
the Holy Quran**

**A Critical Study of Harris Birkeland's Book  
(Old Muslim Opposition Against Interpretation of  
The Koran)**

**By:**

**Dr / Mohammed Salem H. Alshighaybi**

**(shighaybi@gmail.com)**

تقوم هذه الدراسة بفحص كتاب أحد أشهر المستشرقين الاسكندنافيين وهو هاريس بيركلاند والمعنون بـ (معارضة المسلمين الأوائل لتأويل القرآن). يناقش الكتاب فكرة معارضة تفسير أو تأويل القرآن الكريم من قبل التابعين ومن يليهم في القرون الأولى للإسلام، ويفترض أن هناك معارضة كبيرة لأي محاولة تقوم بشرح وتفسير النص القرآني، ويزعم بأن ذلك يعود لأسباب دينية وأخرى أيديولوجية نفعية. سلكت هذه الدراسة المنهج التحليلي والنقدي لأفكار هاريس حول هذا الموضوع، ورجعت إلى مصادر التراث الإسلامي من أجل تقييم ماورد في هذا الكتاب من نظريات وأطروحات. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج عدة من أهمها أن هاريس لم يأت بجديد في طرحه، بل وافق غيره من مستشرقين بخصوص تاريخ ونشأة تفسير القرآن، إضافة إلى ما احتواه المنهج البحثي لديه من تناقض واضطراب في فهم النصوص الدالة على منع التفسير في عهد التابعين. **الكلمات المفتاحية:** الاستشراق الاسكندنافي، هاريس بيركلاند، معارضة تفسير القرآن، التابعون الكرام.

### Abstract:

This study examines the book of one of the most famous Scandinavian orientalists, Harris Birkeland, which is entitled (Old Muslim Opposition Against The Interpretation of the Koran). The book discusses the idea of opposing the interpretation (*Tafsir*) of the Noble Qur'an by the Followers (*Tabi'oon*) and those following them in the first centuries of Islam, and it is assumed that there is a great opposition to any attempt to explain and interpret the Qur'anic text. It claims that this is due to religious and ideological and expedient reasons. This study takes an analytical and critical approach of Harris's ideas on this subject, and returned to the sources of classical Islamic literature in an attempt to evaluate the theories and theses contained in this book. The study reaches several results, the most important of which is that Harris did not come up with anything new in his proposition, but rather agreed with other orientalists regarding the history and origin of the interpretation of the Qur'an. Besides, his methodology encompasses contradictions and disturbances in understanding the texts indicating the prohibition of interpretation in the era of the Followers. **Key Words:** Scandinavian Orientalism, Haris Birkeland, Opposition to The Interpretation of the Qur'an, Followers (*Tabi'oon*)

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

### مقدمة:

تباينت المدارس الاستشراقية الحديثة في دراستها للقرآن الكريم وعلومه وتنوعت الموضوعات التي طرقتها، واختلفت في المقاربات المنهجية التي سلكتها. ولعل من أبرز الموضوعات التي تناولتها هذه المدارس في مجال الدراسات القرآنية هو موضوع تفسير القرآن الكريم؛ منشؤه، ومدارسه، وأهم المفسرين وكتبهم. ومن أشهر الدراسات الاستشراقية التي ركزت على التفسير هي: كتاب **تاريخ القرآن** الصادر عام ١٨٦٠ للمستشرق الألماني تيودور نولدكه، وكتاب **مذاهب التفسير الإسلامي** للمستشرق المجري اغاناس غولدتسيهر والذي كتبه في عام ١٩٢٠، وكتاب **الدراسات القرآنية: مصادر ومناهج التفسير للكتاب الديني** للمستشرق الأمريكي جون ونسبره والذي نشره عام ١٩٧٧. وهذه الدراسات الثلاث تعد دراسات مرجعية في الغرب حول موضوع القرآن الكريم وتفسيره. ولقد حظي موضوع تفسير النص القرآني بكثير من الاهتمام والدراسات من بقية المدارس الاستشراقية، ومن بينها المدرسة الاسكندنافية<sup>(١)</sup> التي لها إسهام في تقديم معرفة عن التفسير وفق منهجيتها الخاصة، ولكن القليل هو المعروف عنها، وقد يعود سبب ذلك إلى عدم ترجمة الكثير من أعمالها إلى اللغة الإنجليزية أو العربية. ومن بين تلك الأعمال كتاب (معارضة المسلمين الأوائل لتأويل القرآن) للمستشرق النرويجي هاريس بيركيلاند، الذي صدرت طبعته العربية عام ٢٠١٩. وسوف تقوم هذه الدراسة بتحليل أفكار الكتاب ومناقشتها بشكل نقدي، وتتطلع إلى معرفة ما إذا كان هناك فرق بين آراء المستشرق بيركيلاند وغيره من المستشرقين حول أهم الأفكار والنتائج المطروحة في كتابه.

### سبب كتابة البحث:

للاستشراق إيجابيات وسلبيات، ولا يمكن الحكم على أي منتج استشراقي إلا بعد تصور مقولاته، ودوافعه، لهذا يتعين علينا الوقوف على مقولات المستشرق من خلال منتجه العلمي؛ وهذه الدراسة تتناول كتاب: (معارضة المسلمين الأوائل لتأويل القرآن) للمستشرق "هاريس بيركيلاند"، وهو كتاب ترجم حديثاً من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية ومؤخراً إلى العربية. فكان حرياً بتناول هذا العمل بالبحث والتحليل بغية الوقوف على مقولات مؤلفه ونقدها، واستبيان دوافعه إلى تأليفه.

التفسير علم يتعلق بالقرآن الكريم، وهو أقدس كتاب لدى المسلمين، وهذا العلم كان له أقطابه من التابعين وتابعيهم، وهؤلاء ورثوا هذا العلم عن علماء الصحابة، ومن أشهر هؤلاء قتادة ومجاهد وعطاء. وقد تناول "هاريس بيركيلاند" في مؤلفه هذا الموضوع، محاولاً إبراز جانب يراه مهماً في إعادة قراءة تطور التفسير، وهو ما سماه بـ: **معارضة المسلمين الأوائل لتأويل القرآن**، وهو في مناقشته لهذه القضية يرجع أسباب هذه المعارضة إلى أسباب دينية، وأحياناً إلى أسباب إيديولوجية، فالإي مدى استطاع بيركيلاند أن يبين هذه المعارضة، وما قيمة الحجج التي ساقها في الدفاع عن أطروحاته؟ وهذه الدراسة تحاول تقديم إجابة عن هذه الإشكالية والأسئلة المرتبطة بها التي يمكن إجمالها في الآتي:

### أسئلة الدراسة:

- هل كان هاريس موضوعياً حيادياً منصفاً في دراسته للتفسير ورجاله؟
- هل نجح هاريس في عرض ما يريد بصورة صحيحة؟
- ما أهم النتائج البحثية التي توصل إليها هاريس في كتابه؟

وسوف تقوم الدراسة بالجواب على هذه الأسئلة بنوع من التفصيل من خلال فحص كتابه **معارضة المسلمين الأوائل لتأويل القرآن**.  
**أهمية الموضوع:**

تبرز أهمية هذا الموضوع على المستويات التالية: المستوى الأول: العموم من حيث عموم الاستشراق ورحابة موضوعاته المطروحة، ولابد من تناول الفكر الاستشراقي بصفة عامة حتى نتعرف على الآخر مهما كانت مقولاته فلذلك أهمية للتواصل والتعارف، والوقوف على أهم مقولاته في المجال المدروس. المستوى الثاني: خصوص المستشرق "هاريس بيركيلاند" وهو قليل التأليف، لكن كتابه هذا مع صغر حجمه يحمل الكثير من الأفكار التي تحتاج إلى شيء من التحليل والنقد. المستوى الثالث: أخص الخصوص علم التفسير ومن أشرف علوم الإسلام لأنه يتعلق بكتاب الله "القرآن الكريم"، وتاريخ هذا العلم الذي لا يزال المستشرقون والغربيون المتخصصون في الدراسات القرآنية يبحثونه ويدرسون القرآن فرادى وجماعات، ويعقدون المؤتمرات حول دراساتهم القرآنية،<sup>(٢)</sup> فلا بد أن يكون الباحث المسلم والمتخصص في الدراسات الإسلامية على ذات المستوى ولا يقل، للقيام بضبط مفاهيم المستشرقين فيما خالفوا فيه وجه الصواب.

### أهداف البحث:

تبرز أهداف البحث من خلال ما يلي:

- (١) عرض مقولات المستشرق "هاريس بيركيلاند" في موضوعه الذي طرحه في معارضة المسلمين الأوائل لتفسير آي القرآن الكريم، ومحاولة تصنيفها وتحليلها ونقدها بقدر الطاقة والجهد.
- (٢) الموضوعية والحياد في الحكم على المستشرق فليس من طبيعة البحث الجاد اللجوء إلى إلقاء التهم مجازفة بلا دليل أو بمجرد الشبهة، ولكن نلتزم العذر بقدر مقدور.
- (٣) مناقشة النتائج التي توصل لها هاريس في كتابه ومحاولة القيام بتقديم فكر مواز للمحتوى العام للكتاب.

### أسباب اختيار هذا الموضوع:

ثمة أسباب دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع من أهمها ما يلي:

- ١- المستشرق "هاريس بيركيلاند" من المدرسة الإسكندنافية، وهي مدرسة تقف بجوار المدرسة: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، وغيرها مما يدل على أن هذه المدارس الاستشراقية لها أهداف تجمعها، وروابط تنظمها، وأعتقد أن الوقوف على مقولات هذا المستشرق يعطي تصوراً عاماً لطابع هذه المدرسة الاستشراقية التي يقل الحديث عنها.
- ٢- إيضاح الفرق بين الدرس الاستشراقي الجاد من غيره؛ لأن هناك مستشرقين يرددون أقوال سابقهم دونما إضافة علمية تذكر، وسوف يتضح من خلال هذه الدراسة ما إذا كان كتاب هاريس يحمل فكراً جديداً أو أنه انتهج التقليد لغيره من المستشرقين القدامى؛ لذا اخترته للقراءة من خلال عين النقد، وعين التحليل وبصورة حيادية منصفة.

### الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات الاستشراقية حول القرآن الكريم بشكل عام، ولكن الدراسات التي اقتصت بعلم التفسير، نشأته، تطوره، أهم قضاياها ورجاله تعد قليلة، وفي هذا السياق وعلى حد علم الباحث واطلاعه وتقصيه لما كتب حول المستشرق هاريس بيركيلاند وأعماله، فإنه لا توجد دراسة

حول كتاب (معارضة المسلمين الأوائل لتأويل القرآن) للمستشرق "هاريس بيركيلاند" حيث إنه قد صدر حديثاً مترجماً إلى العربية سنة (٢٠١٩) فلم يحظ بأي دراسة أو نقد حتى الآن.

## حدود الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة في (الحدود الموضوعية): حيث تتناول هذه الدراسة بيان الأفكار العامة والنتائج الواردة في كتاب هاريس؛ وذلك لاشتماله على عدد من المقولات المتعلقة بالتفسير ورجاله. أما فيما يتعلق بأطروحات هاريس في كتابه التي ترجع بنا إلى القرون الأولى في الإسلام، حيث يعرض لأسماء أهل التفسير الأوائل، وينقل عنهم، فإنه ربما كانت له تلك الأطروحات التي تجعل ضرورة وضع جانب (الحدود الزمانية) في الدراسة موضع اهتمام بالقرون الأولى في الإسلام، فربما تعرضت الدراسة لبحث ما فيها من أحوال وأوضاع تعرض لها هاريس من خلال مقولاته، فننيبين مدى (صحة/خطأ) تلك المقولات.

## منهج البحث:

سأتناول نقاط الدراسة من خلال (المنهج النقدي التحليلي) وهو منهج يقوم على ما يلي:

أولاً: تحديد المقولات والنتائج المعنية بالبحث.

ثانياً: بيان (صحة/خطأ) تلك المقولات بصورة دالة مع الاستدلال.

ثالثاً: تقسيم النقد على مبحثين، مبحث يخص نقد الأفكار العامة، والآخر مبحث لنقد مجمل النتائج التي توصل إليها المستشرق هاريس، مع قيام النقد في البحث بصورة حيادية منصفة مع التماس الجانب الإيجابي وتقديم حسن النية.

## تنويب الدراسة:

تتكون الدراسة من المحاور التالية:

**المقدمة المنهجية** وتشمل: (سبب كتابة البحث، ومشكلة البحث، وأسئلة الدراسة، وأهمية الموضوع، وأهداف البحث، وأسباب اختيار هذا الموضوع، والدراسات السابقة، وحدود الدراسة، ومنهجها والتنويب).

**التمهيد** وفيه تعريف موجز بالمستشرق "هاريس بيركيلاند"، وآرؤه وآثاره، ومنزلته بين المستشرقين.

**المبحث الأول:** عرض أفكار الكتاب وتحليل منهج المؤلف.

**المبحث الثاني:** مناقشة ونقد الأفكار الرئيسية الواردة في الكتاب.

**المبحث الثالث:** مناقشة ونقد النتائج العامة للكتاب.

**الخاتمة:** وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

**ثُبت بأهم المصادر والمراجع.**

## التهديد

هاريس بيركيلاند نرويجي الأصل ولد سنة ١٩٠٤م وكانت وفاته سنة ١٩٦١م ويعتبر من مدرسة الاستشراق الإسكندنافي حيث بدأ اهتمام الجامعات الإسكندنافية بالتراث العربي الإسلامي منذ مطلع القرن السابع عشر الميلادي من قبل جامعتين عريقتين؛ هما: "جامعة أوبسالا" بالسويد التي تأسست سنة ١٤٧٧م، وتعدّ أقدم وأكبر جامعة إسكندنافية، والأخرى: "جامعة كوبنهاجن" بالدانمارك، وتُصنّف ثاني أقدم جامعة إسكندنافية؛ إذ تأسست سنة ١٤٧٩م<sup>(٣)</sup>. وأما آثاره فله عدة دراسات وكتابات متنوعة بلغت ما يقارب ٢٧ عملاً في المجمل،<sup>(٤)</sup> ومن بينها بعض الأعمال التي خصصها للدراسات الإسلامية مثل:

سنة الإصدار	الكتاب / البحث
١٩٩٩	القرآن
١٩٨٩	مختارات من القرآن الكريم
١٩٥٨	تفسير مسلم بن الحجاج النيسابوري لسورة الماعون
١٩٥٥	أسطورة فتح صدر النبي محمد
١٩٤٢	رسول الله

ومن تاريخ نشر كتبه ومؤلفاته يتضح أن أغلب الإنتاج العلمي للمستشرق هاريس كان في النصف الثاني من القرن العشرين، وبعض هذا الإنتاج قام على المنهج النقدي وبعضه على المنهج التحليلي. وتجدر الإشارة إلى أن بعض دراساته تم نشرها بعد وفاته بفترة، حيث قام المستشرق روني بيركلاند عام ١٩٨٣ بدراسة وتقييم أبحاثه الرئيسية وإعادة نشرها، ونشر ما لم يُنشر له من قبل.<sup>(٩)</sup> وهذا يعني أنه يتحلى بعقلية استشراقية تتسم بالاتجاه النقدي والتحليلي، ولا شك في أن إحياء فكر هاريس بيركلاند يثري المدرسة الاستشراقية الإسكندنافية؛ فهو واحد من كبار ما أنجبتهم هذه المدرسة، خصوصاً وقد تتلمذ على أكبر أساتذتها نذكر منهم المستشرق سغيري ألين والمستشرق إيفار بي سييرستاد والشهير بـ(سيغموند موينكل) الذي يعتبر هاريس بيركلاند الوريث الحقيقي له.<sup>(١٠)</sup> كان بيركلاند عالماً لاهوتياً وأستاذاً للغات السامية في جامعة أوسلو عام ١٩٤٨، وقد انتهج الأسلوب البنيوي في دراسة اللغات السامية، وله مؤلفات في ذلك مثل: (القواعد العبرية) و(أهمية أنماط الخطوط باللغة العربية) و(لغة ودين اليهود والعرب). وتتضح منزلة هاريس بين المستشرقين من خلال قول المفكر محمد أركون<sup>(٧)</sup>: "وينبغي أن نحیی جهود تلامذتهم - أي المستشرقين - الذي واصلوا على نفس الدرب من أمثال: رودى بارت، وريجيس بلاشير، وهاريس بيركلاند، وويليام منتغمري واط".<sup>(٨)</sup> فإن إشادة أركون - وهو معلوم باتجاهه تغريبي يسلب عن الشرق كل قيمة وهوية - بجهود أساتذته من المستشرقين وتلامذتهم الذي تتلمذ عليهم، يعطينا تصورًا عامًا لفكر هاريس ورؤيته للتراث الإسلامي. وإنه من خلال ما سبق يمكن التعرف على منزلة هاريس بين المستشرقين؛ حيث إنه يُمثل التلميذ النجيب لكبار المدرسة الاستشراقية في القرن العشرين، وأنه سار على خطى أسلافه، حتى شق طريقه البحثي على هداية متبعاً سبيلهم، وسوف يتم استجلاء كثير من هذه الملامح والتأكد منها في ثنايا نقاش أفكاره العامة في هذه الدراسة.

## المبحث الأول عرض أفكار الكتاب وتحليل أسلوب المؤلف

تعرض المستشرق هاريس في كتابه لموضوع تفسير أو تأويل القرآن الكريم في فترة جيل التابعين الكرام وناقشه من عدة جوانب، وسوف أورد في العموم أهم ما ناقشه وأبدى فيه رأيه، أو وافق فيه بعض المستشرقين، وسيكون هناك نقد عام لأغلب مقولاته وأفكاره في المبحث الثاني.

### أولاً: الفكر العام في الفصل الأول (دلالة التفسير ومتى يرد):

#### ١ - اشتقاق التفسير:

بدأ هاريس بذكر اشتقاق الفعل (فسر) ومصدره التفسير، وأشار إلى رأي غولدتسيهر في أن لكلمة التفسير معانٍ أخرى وردت في نصوص ترفض فيها تأويل القرآن،<sup>(٩)</sup> ولكن هاريس لا يشرح هذه المعاني التي قصدتها غولدتسيهر. أقر هاريس بوجود فرق جوهري بين التفسير والتأويل مستدلاً على ذلك بدعاء النبي عليه الصلاة والسلام لابن عباس "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"<sup>(١٠)</sup>. وهو يشير إلى المعنى اللغوي لكلمة التفسير حيث إن الدلالة اللغوية أعم لدى العلماء من المعنى الاصطلاحي.

#### ٢ - هاريس وتفسير القرآن بين النقل والرصد:

##### أ- النقل:

في الفصل الأول جال هاريس بين نقل ما أورده ابن سعد في الطبقات الكبرى من أقوال عن كبار التابعين نقلها ابن سعد في الطبقات الكبرى عن بعض أعلام التابعين تدل على موقف التابعين من التفسير. ومن هؤلاء التابعين: شقيق بن سلمة أبو وائل (ت. ١١٠هـ)<sup>(١١)</sup> فقد كان إذا سُئل عن شيء من القرآن قال: "قد أصاب الله به الذي أراد"<sup>(١٢)</sup>، يعني بذلك - كما يفيد هاريس - أنه لا يريد أن يبحث عن المعنى ولا يرغب أن يعبر عن أي رأي محدّد فيما يخص مراد الله،<sup>(١٣)</sup> وقول عبيدة بن عمرو السلماني<sup>(١٤)</sup> (ت. ٧٢هـ) حينما سُئل عن آية، فقال: "عليك باتقاء الله والسداد، فقد ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن".<sup>(١٥)</sup> وقول سعيد بن جبیر (ت. ٩٥هـ): "لأن تقع جوانبي عن التفسير خير لي من ذلك"<sup>(١٦)</sup>. ويقول هاريس عن روايات التابعين مثل القاسم بن محمد بن أبي بكر (ت. ١٠٧هـ)<sup>(١٧)</sup>، وسالم بن عبد الله بن عمر (ت. ١٠٦هـ)<sup>(١٨)</sup> وابن عون (ت. ١٥٥هـ)<sup>(١٩)</sup> (كانت المعرفة بالنسبة لهؤلاء الرجال مماثلة للرواية، ولم يبق هناك مكان للاستدلال الصحيح، ويمكن أن يكون هؤلاء الرواة - من الناحية النظرية - قد أجازوا تأويلات متضمنة في الأحاديث الصحيحة من النوع الذي نعرفه من أبواب التفسير الأثار المتواترة على أن هؤلاء المحدثين كانوا قد أجازوها ولكنهم لم يقتنعوا بها.. وهذا أحد الأسباب الذي جعل روايات الطبري المرفوعة إلى الرسول محمد قليلة جداً)<sup>(٢٠)</sup>. ويتابع هاريس بأن أقوال التابعين هذه يوضح المناخ الديني نفسه الذي يدل على رد التأويل لأي القرآن وكما يدل على المرحلة الأولى من "رفض التأويل" أكثر من غيرها.<sup>(٢١)</sup> ويضيف بأن مثل هذه الروايات تبرهن على "قدم الكره للتفسير... ووجود وجهة نظر متطرفة عن النقل في علم القرآن، كاشفة بنفسها عن كراهيتها لكل شكل من أشكال التفسير"<sup>(٢٢)</sup>. ومن خلال هذه النقول وغيرها اتهم هاريس ابن سعد



بأنه أخفى تفسير قتادة بن دعامة<sup>(٢٣)</sup> (ت. ١١٧هـ)، وبأنه ينتمي إلى خصوم التفسير<sup>(٢٤)</sup>، فهل صحيح أخفى ذلك أو لم يصله خبره؟ وهل صحيح أن ابن سعد كان ضد تفسير القرآن؟

ب - الرصد: رصد هاريس في الفصل الأول موقفاً لاثنتين من التابعين وهما سعيد بن المسيب (ت. ٩٤هـ)<sup>(٢٥)</sup> وعامر الشعبي (ت. ١٠٣هـ)<sup>(٢٦)</sup> والذي ذكره ابن عطية (ت. ١٥٤هـ)<sup>(٢٧)</sup> المفسر، وهو من علماء القرن الخامس الهجري في مقدمة تفسيره، تدل على موقفهما من التفسير قبل سنة (١٠٠هـ) بقليل والذي يعبر - حسب رأيه - عن كراهية التابعين لتناول القرآن بالتفسير في هذه المرحلة الأولية في الإسلام . ووصف هاريس سعيد بن المسيب بالمتشدد في تدينه، وذكر ما نقله عنه ابن سعد بأنه سئل عن آية من كتاب الله، فقال: "لا أقول في القرآن شيئاً"<sup>(٢٨)</sup> ونفس الأمر ذكر عن القاسم وعن عامر الشعبي، وبعدها عقب هاريس على ذلك فقال (كراهية هؤلاء الرجال الأتقياء، وإنكارهم للتفسير كانت تملئها دواع وأسباب دينية)<sup>(٢٩)</sup> وألمح هاريس بأن الشعبي ذا الموقف السلبي من التفسير، يحب رواية المغازي وكان "يركب وجوها: وجها سالبا عن التفسير مع وجهه إيجابى نحو المغازي"<sup>(٣٠)</sup>، وهنا يلمح هاريس أن الشعبي كان يزور روايات فيها دلالة على كراهية التفسير وأخرى فيها إيجابية نحو رواية أخبار المغازي.

### ٣- هاريس ودعوى الدوغمانية - الحسن البصري نموذجاً:

يشير هاريس إلى رسالة الحسن البصري المرسله إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز في ثانيا حديثه عن الدوائر المعارضة للرأي والتي كانت كما يزعم من الخصوم المصممة على رفض التفسير، حيث يرى أن هناك دوغمانية في موقف بعض التابعين تجاه تفسير القرآن الكريم، ومنها موقف الحسن البصري المؤيد للسنة النبوية ورواية الحديث على حساب التفسير والأخذ بالرأي. يقول هاريس: "الرأي في المعنى المبتدل - المطعون في تأويله- المتكلف كان قد تأسس في وقت مبكر كالحال مع الرسالة الدوغمانية المنسوبة إلى الحسن البصري فوقع هذه العبارة في رواية أبي وائل حوالي سنة (١٠٠هـ) ليس أمراً غريباً"<sup>(٣١)</sup>.

ثانياً: الفكر العام في الفصل الثاني (موقف الحنابلة من التفسير): خصص هاريس جانباً من الفصل الثاني للحديث عن الحنابلة كطائفة من العلماء يكرهون التفسير: وأن كراهية التفسير عند الحنابلة كانت ناتجة عن أسباب محض دينية<sup>(٣٢)</sup> وأن الحنابلة تقدموا كثيراً في ردهم واستنكارهم أكثر مما ذهب إليه ابن حنبل نفسه<sup>(٣٣)</sup>. لكن هاريس يرى أن معارضة التفسير ظهرت فيما بعد عصر الصحابة.

### ١- مقولة الإمام أحمد عن أصل التفسير:

كما عرض هاريس مقولة لابن حنبل هي: (ثلاثة كتب لا أصل لها هي المغازي والملاحم والتفسير)<sup>(٣٤)</sup> حيث اعتبر هذه المقولة إقراراً من إمام أهل السنة لأصل التفسير من خلال بيان دلالة كلمة لا أصل لها والتي تعني (عموم النفي) وأن معنى كلمة (أصل) هنا بالنسبة للتفسير أي أن مادته عموماً ليس لها أسانيد صحيحة ومتون ترقى للوثوق بها<sup>(٣٥)</sup>. كما ادعى تناقض الإمام أحمد مع نفسه حيث تناول جانباً من التفسير في مسنده، ورأيه في قتادة بن دعامة بأنه "أعلم الناس بالتفسير وباختلاف العلماء"<sup>(٣٦)</sup>، وقد ادعى هاريس إيراد هذه المقولة في (تذكرة الحفاظ) للذهبي وسيأتي مزيد نقد وتحليل لذلك في المبحث التالي.

### ٢- موقف علماء اللغة من التفسير:

كما يعرض هاريس موقف إمام اللغة الأصمعي (١٢٢-٢١٦هـ)<sup>(٣٧)</sup> المتحفظ من التفسير لأنه "باعتبار أن معنى التفسير يفيد شرح الألفاظ بواسطة ألفاظ أخرى"، ولسبب آخر وهو أن الأصمعي "ينتمي لأهل التقوى"<sup>(٣٨)</sup> ومعلوم أن موقف فقهاء اللغة من القرآن يحتاج إلى دقة أكثر في علوم اللغة والاشتقاق والتصريف، ولا أرى استيعاب هاريس لذلك لأنه مفكر وليس بمختص في اللغة العربية، فلا تستحق تلك المسألة عناء النقد والتحليل لأسباب منها: أولاً: لأن القرآن بقرائه مصدر أصيل عند علماء اللغة، ثانياً: لأن اللغة علم متفرع عن التفسير، فالإعراب فرع المعنى.

ثالثاً: الفكر العام في الفصل الثالث (آداب السيرة والتفسير): تحدث هاريس في هذا الفصل عن ابن عباس رضي الله عنه وعن تلامذته في التفسير، حيث تناول جانباً من تلامذة ابن عباس الممارسين للتفسير أو الناقلين عنه جهوده في التفسير حتى توصل إلى نتيجة مهمة سوف أوليها جانباً من التحليل والنقد في المبحث الثالث الخاص بنتائج بحثه يعود هاريس ويتابع موقف التابعين ولكن بصورة أكثر تحديداً من خلال رصده لتلامذة ابن عباس من التابعين، من أمثال سعيد بن جبير وابن مجاهد وعكرمة وعطاء ابن أبي رباح وأبي صالح باذام، وابن جريج من تلامذة عطاء<sup>(٣٩)</sup>. وأورد مقولة خصيف بن عبد الرحمن الجزري: "كان من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب، وبالحنج عطاء، وبالحلال والحرام طاوس، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير"<sup>(٤٠)</sup> ويتهم المستشرق هاريس ابن سعد مرة أخرى

بمناوئته للتفسير ومناصرتة لـ"دوائر أهل السنة والجماعة التي عارضت التفسير في وقت مبكر" و"أنه ينتمي إلى خصوم التفسير"<sup>(٤١)</sup>، واتهمه كذلك بالتعتيم عن تفسير بعض التابعين مثل تفسير ابن جريج وغيرهم.<sup>(٤٢)</sup> ويتابع هاريس موقفه مبينا خطأ غولد تسيهر حيال تبني موقف التابعين من تفسير الكلام المقدس [أي القرآن الكريم] عند جيل التابعين بسبب التقوى المتشددة منهم فقط مستدلاً بما رواه ابن سعد في طبقاته عن عكرمة أن ابن عباس رضي الله عنه كان يعلمه "القرآن والسنة"<sup>(٤٣)</sup>، لكن هاريس يبرر خطأ غولدتسيهر بأنه استند على المصادر المتحيزة لدوائر معارضة التفسير مثل ابن سعد الذي قام - في رأي هاريس - بتغيير كلمة "التفسير" بـ"السنة" في النص أعلاه.<sup>(٤٤)</sup>

**رابعاً: الفكر العام في الفصل الرابع (التفسير وأهل السنة والجماعة):** أطلق هاريس في هذا الفصل على ما يصفه بالحركة المضادة للتفسير والتي يمثلها - كما يقول - مذهب أهل السنة (الأرثوذكسي) المتمثل بمؤرخي السيرة والطبقات الأوائل كالواقدي وابن سعد والعلماء مثل الحسن البصري وابن حنبل أنها كانت حرية دينية مؤدلجة مبنية على شيء من التقوى، وأن "الأساس الأيديولوجي لهذه التقوى موجود في نزعة أهل السنة والجماعة".<sup>(٤٥)</sup> ثم رجع فقال: "لم تكن مثل هذه المعارضة مبنية على أساس في هذا الوقت المبكر"<sup>(٤٦)</sup> وفي هذا تناقض فكيف يغفل أهل العصر الأول - وفق زعم هاريس - وهم الصحابة وهم الشيوخ والأساتذة عما تنبه له التابعون، وهم التلاميذ؟ وفي هذا الفصل أشار هاريس أيضاً إلى ما يسميه بتطور المعارضة "الأرثوذكسية" من معارضة للتفسير إلى معارضة للفقهاء بين مدرسة الرأي والأثر، فقال: "المعارضة القديمة للتفسير استبدلت بمعارضة جديدة: التفسير بالرأي والهوى في مقابل التفسير بالعلم ... وعلى الطريقة نفسها صار الحال مع الفقه إلا أنه في كلا الفرعين من المعرفة أصبح الحديث كذلك واضحاً بذاته، فلم يعد يوجد صراع بين الأصليين أو المصدرين، إلا أن إنكار أهل السنة للرأي في السنة المائة هجرية صارت متقدمة على التدرج"<sup>(٤٧)</sup>. كما يشير إلى بداية الإجماع من هذه الفترة "أصبح الإجماع سائداً في التفسير كالحال في الفقه"<sup>(٤٨)</sup>، ويدلل هاريس على ذلك بتفسير الطبري بأنه "دليل واضح على الاعتراف العام بالتفسير حوالي القرن الثالث للهجرة"<sup>(٤٩)</sup> وبـ"التفسير الضخم والموسوعي لفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) الذي كان له غرض أساس واحد وهو دحض تأويل المعتزلة وبخاصة كما وقع في تفسير الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)".<sup>(٥٠)</sup> ويستند هاريس في ذلك إلى رأي غولدتسيهر في "ازدياد الخلاف بين الرأي والحديث ضمن الفقه" والمشار فيه إلى ملاحظة غولدتسيهر أن "سلطان السنة باعتبارها مبدأ فعلاً في حياة المسلم قديم قدم الإسلام، وفي نهاية القرن الأول وضعت القاعدة التي تقول بأن: " السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاض على السنة"<sup>(٥١)</sup>، وسوف أوافي تلك المقولة حقها وأبين مدى الخطأ الذي وقع فيه هاريس وأستاذه غولدتسيهر بخصوص إيرادها. هذه أوضح ما في كتاب هاريس من مقولات وأفكار عامة ردها على طول الكتاب وعرضه، وسوف أتناولها بالنقد والتحليل، في المبحث التالي، وفي المبحث الثالث سيكون هناك تناول للنتائج العامة التي خرج بها المستشرق هاريس والتي ضمنها الفصلين الأخيرين ومناقشتها.

## المبحث الثاني: مناقشة ونقد الأفكار الرئيسية الواردة في الكتاب.

إن عنوان كتاب هاريس معارضة المسلمين الأوائل لتأويل القرآن لهو دال على التعبير عن موقف محدد مسبق من المؤلف عن تأويل وتفسير المسلمين الأوائل للقرآن، فعبير عن ذلك بكلمة (معارضة) وهذا الموقف المسبق حجر على المطلوب، وتقديم للنتائج قبل عرض للمقدمات، إن صحت أو سلمت له. وهذا قد يدل على أن لدى المؤلف عقلية دوجمائية (Dogmatism)<sup>(٥٢)</sup> تشربت بأطر فكرية استشراقية معينة، ثم سرعان ما حاول الاستدلال عليها بأدنى ملايسة بأقوال لبعض كبار التابعين التي تحمل معان عدة، بعد إحسان الظن، أو مخالفة الأولى، أو حتى الموقف الشخصي المجرى لأحد التابعين هنا أو هناك. فعنوان الكتاب فيه حجر على فهم القارئ، أو إقامه ما يراه المؤلف أولى بالقناعة العقلية، وعصف ذهني قبل عرض آرائه في كتابه هذا. وعموماً سيتبين المزيد من النقد في مناقشة أبرز أفكار المستشرق هاريس والتي تم استعراضها في المبحث السابق.

### المطلب الأول، موقف التابعين بين نقد هاريس وتقويم الدين:

#### ١ - تورع التابعين عن تفسير كلام الله:

كان عموم التابعين - الذين أورد هاريس موقفهم من التفسير - في الأمصار الإسلامية مثل العراق والكوفة والبصرة والشام والمدينة ومكة ومصر واليمن وغيرها، قد تربوا في عهد الصحابة رضي الله عنهم على عدم الجرأة والتهجم بالخوض في كتاب الله تعالى تفسيراً وتأويلاً، فلا عجب إذ كان منهم أبناء خليفين راشدين هما: القاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد الله بن عمر (ت. ١٠٦ هـ)، وأعتقد أنهم اتخذوا موقفاً مشابهاً لموقف آبائهم من الصحابة. ومن ناحية أخرى فقد كان من التابعين الوارد ذكرهم لدى هاريس من عاصر النبي عليه الصلاة والسلام وإن لم يلقه مثل عبدة بن قيس<sup>(٥٤)</sup> فهو لصيق الصلة بعصر الصحابة. إن ضعف هاريس لتتبع أعلام التابعين في كتب تراجم الذين

أورد أسماء هم أقوى سبب من أسباب خطئه وخطئه، وهذا جعل هاريس يتسرع في اتهام ابن سعد بإخفائه تفسير قتادة بن دعامة<sup>(٥٥)</sup> مع أن ابن سعد لم يزد على نقله قول قتادة: "ما قلت برأيي منذ أربعين سنة"<sup>(٥٦)</sup>، وأن الإمام الذهبي قال عن قتادة: "قدوة المفسرين والمحدثين"<sup>(٥٧)</sup>، والجمع بينهما واضح بأدنى تأمل حيث لا يفسر برأيه أو تفسيراً عقلياً بل بعلم وأثر، فكيف ذلك مع أن هاريس يعتبره ينتمي لخصوم التفسير. والحال كذلك مع سعيد بن جبير الذي فسر هاريس ما نُقل عنه "لأن تقع جوانبي عن التفسير خير لي من ذلك" بالاعتراض على تفسير القرآن، مع أن هاريس عند تعرضه لتفسير الطبري لم ينقل ما أورده الطبري عند سرده لـ (بعض الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن...)<sup>(٥٨)</sup> عن سعيد بن جبير حيث قال: «من قرأ القرآن ثم لم يفسره، كان كالأعجمي، أو كالأعرابي» وهذا في الحض على العلم بتفسير القرآن،<sup>(٥٨)</sup> وهذا يدل على ضعف تقدير هاريس لهذا الرصد في المصادر الأساسية، وقلة تتبعه لكتب التراجم ومقولات أصحابها. والحقيقة أنه لا شيء من خصومة التابعين للتفسير، فجمهور التابعين وخاصة سعيد بن جبير والحسن البصري وأبو العالية وعطاء ومجاهد وعكرمة والشعبي والنخعي وغيرهم سلكوا مسلك التفسير بالعلم والمأثور، وكانت مصادرهم في التفسير القرآن الكريم والسنة النبوية والصحابة واللغة والفهم والاجتهاد.<sup>(٥٩)</sup> وما ورد عن بعضهم في التوقف أو التحرج عن التفسير كان من باب:

١- التفاوت بينهم في فهم القرآن، فيقف الواحد منهم على ما لا يعلم.

٢- التورع والتحفظ من التفسير شأنهم في ذلك شأن الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم في التقليل منها من باب الاحتراز في الوقوع في الخطأ والتقول على رسول الله بلا علم.<sup>(٦٠)</sup>

والعجيب أن هذا ما أقر به هاريس فيما بعد حيث اعترف به وعبر عنه بمصطلح (التقوى)، لكنه سرعان ما تصور هذا من باب المعارضة والنهي عن التفسير والأيدولوجية. فإذا تتبعنا أسماء التابعين أصحاب المقالات التي تناولها هاريس بالعرض؛ ليقف من خلالها على جانب من "المعارضة للتفسير" لعرفنا أنها لم تخرج عن هذا التورع الذي كانوا عليه، وأقر به نفسه أنها تورعا وخشية من الله أن يقال في تفسير كلامه ما ليس لهم به من علم، وذلك لقدسية موضوع التفسير وهو القرآن كلام الله تعالى وفيه ما فيه من العظمة والقدسية والإعجاز. وعلى سبيل المثال أبو وائل في عصر التابعين كان يتحاشى تحديد مراد الله؟ فموقفه هذا تورع وتحفظ وتصون عن كتاب الله، وابتعاد عن التكلف في القرآن، وهذا خلاف التشدد في الدين، فهذا يمثل اتجاهاً عاماً متحفظاً بين عدد من التابعين وخاصة بين علماء أهل الكوفة، وربما كان رأياً شخصياً لا ينافي أن يسمع لتفسير غيره فلا يكون فيه معارضة للتفسير بالمرّة، بدليل قول الزبيرقان: "أمرني شقيق فقال: لا تقاعد أصحاب: رأيت رأيت"،<sup>(٦١)</sup> وهذا يظهر وجهة نظره في أصحاب الرأي القائم على مجرد الاحتمال دون تثبيت من أثر، أو دلالة لغة، أو وضوح نص لأن التفسير للقرآن أمر جليل لأنه قطع على مراد الله تعالى وهو من تكلم بالقرآن فله خطره وقدسيته، وقد بين هاريس نفسه هذه الاحتمالات<sup>(٦٢)</sup>، وهي صحيحة لكنه تفسيرها بموقف عام يطلق عليه (معارضة التفسير) أو (الكرهية الشديدة للتفسير) فهذا يحتاج لدليل، ولا دليل عليه. ثم لا يعدو هذا الموقف من التابعين أن يكون أكثر من موقف مماثل من التحفظ في بعض المسائل اتخذها بعض العلماء والفقهاء. فقد اتخذ العلماء الأوائل موقفاً صارماً في بداية فكرة نقط القرآن والشكل، حيث حظر منه كبار الفقهاء؛ فلم يجوزوه إلا عند الضرورة التي اعتبروها لسهولة تعليم الأطفال قراءة المصاحف منقوطة مشكّلة - على جهة الخصوص - عند التنشئة والحفظ.<sup>(٦٣)</sup>

٢- هاريس ودعوى الدوغمائية:

إن اتهام هاريس للإمام الحسن البصري (٢١-١١٠هـ) بوصفه بالدوغمائية يُعدّ ذو طابع إسقاطي حيث أسقط معانٍ ومصطلح ذي حمولة لاهوتية من بيئة وخلفية تاريخية للمؤلف (البيئة المسيحية) على بيئة مختلفة ظرفاً وسياًقاً ومكاناً (أي البيئة الإسلامية). فهي تهمة تعود في بيئتها الأولى إلى أوروبا في عصورها الوسطى. إن خصوص اتهام هاريس للحسن البصري بهذه التهمة دعوى لإثارة الشكوك حوله وحول علميته ومكانته؛ لأن من درس شخصية الحسن البصري يعلم تماماً ما تمتع به من قبول لدى كثير من المسلمين على اختلاف فرقهم حتى لقب الحسن عن جدارة واقتدار بسيد التابعين، فكان الناس يجلسون في مجلسه، فتعرض فيه المسألة من تفسير أو فقه أو عقيدة، فتدور فيها الأقوال، ويخرج منها بالراجح فهو يمثل مدرسة من المدارس العلمية في عهد التابعين بعد مدارس الصحابة رضي الله عنهم، وكان ذلك في عهد بعضهم. ومع ذلك فالحسن البصري، من ناحية اتهامه بأنه يكره التفسير وكان من خصومه، كان على عكس ذلك فقد كان مشهوراً بالتفسير وله مرويات كثيرة في التفسير، وتفسيره الذي جمع مروياته وآراءه التفسيرية مطبوع ومتوفر في المكتبات والله الحمد.<sup>(٦٤)</sup>

المطلب الثاني: هاريس ومقولات الحنابلة:

أولاً: مقولة منقولة على الإمام أحمد:



استشهد هاريس بمقولة منسوبة للإمام احمد بن حنبل وهي: "ثلاثة كتب ليس لها أصل هي المغازي والملاحم والتفسير"<sup>(١٥)</sup> لإثبات عدم الوثوق بالمرويات والمأثورات التفسيرية، ومعارضة الإمام ابن حنبل للتفسير. بداية لقد وجه العلماء كابن تيمية هذه المقولة (ليس لها أصل)، "أي إسناد؛ لأن الغالب عليها المراسيل، وأما ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من حيث اللفظ أو المعنى"<sup>(١٦)</sup>، كما أنه مما "لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صحّت عنه أحاديث في التفسير، والإمام أحمد نفسه معترف بها، فكيف يُعقل أن الإمام أحمد يريد من عبارته السابقة نفى الصحة عن جميع الأحاديث المرفوعة إلى النبي عليه السلام والسلام في التفسير؟"<sup>(١٧)</sup> فإن هذا الكلام محمول كما قال الخطيب البغدادي - على وجه وهو أن المراد به "كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها، ولا موثوق بصحتها؛ لسوء أحوال مصنفها، وعدم عدالة ناقلها، وزيادات القصاص فيها؛ فأما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة، والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة اتصلت أسانيدنا إلى الرسول من وجوه مرضية وطرق واضحة جلية، وأما الكتب المصنفة في تفسير القرآن، فمن أشهرها كتابا: الكلبي ومقاتل بن سليمان"<sup>(١٨)</sup>.

ثانيا: دعوى هاريس تناقض الإمام أحمد مع نفسه حيث تناول جانباً من التفسير في مسنده، وكذا لتناوله قول أحمد في قتادة بن دعامة (أعلم الناس بالتفسير وباختلاف العلماء)<sup>(١٩)</sup>، وقد ادعى هاريس إيراد هذه المقولة في (تذكرة الحفاظ) للذهبي. لكن هذه المقولة ربما لم يقلها الإمام أحمد، فلم أعر على أنها له، لكن ورد في التذكرة قول الشعبي: "ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة"<sup>(٢٠)</sup> وهذا يدل على خلط بين أقوال العلماء عند هاريس، وعدم دقته في نقد الأقوال. ثم إنه على فرض أن يقول الإمام أحمد ذلك في قتادة فهل يدل ذلك على تناقضه؟ الجواب لا دلالة فيه على التناقض وإنما يدل على رؤيته الإيجابية للتفسير ورجاله، بل يدل على إيجابية موقفه من التفسير، ويتأكد ذلك حينما ندرك أن تلك المقولة المنحولة على الإمام أحمد لم يثبت عنه قوله، فليس لها أصل في كتب التراجم.

ثانياً: مقولة "السنة قاضية على القرآن": هذه مقولة ليحيى بن أبي كثير<sup>(٢١)</sup> ونصها: "السنة قاضية على القرآن، وليس القرآن بقاض على السنة"<sup>(٢٢)</sup> قد نقلها هاريس عن أستاذه غولد تسيهر، وإن معناها لصحيح مقبول، لكن قَصَدَ غولد تسيهر وتلميذه هاريس في إيرادها مشوب بالمغالطة الفكرية القائمة على التحيز لما فسروها بأنها تحمل معنىً صدامياً بين القرآن والسنة، أو غلبة السنة على القرآن، وهذا أمر غير وارد بالمرّة، عند أهل العلم من التابعين وذلك لأسباب هي:

أ. موافقة هذه المقولة لما بيّن الله لنبيه الخاتم صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فهذا بموجب ما أذن الله للنبي من بيان.

ب. إن رؤية علماء الإسلام لمنزلة السنة من القرآن أنها تقع بمنزلة تفصيل المجل، أو بيان المبهم، أو توضيح المشكل، أو حتى تأكيد الحكم، أو تأسيس حكم شرعي.<sup>(٢٣)</sup>

ت. القرآن حمّال أوجه، والسنة تعيّن المعنى المراد، وتبين مقصود الشارع من التشريع.

ث. لأن السنة وحي كما أن القرآن وحي.<sup>(٢٤)</sup>

إذن هذه المقولة صحيحة بذلك التوجيه بخلاف ما رمى إليه هاريس وأستاذه غولد تسيهر علماء التابعين من اتخاذ موقف سلبي أو صدامي بين السنة والقرآن، وهم من ذلك برآء.

ثالثاً: بيان هاريس موقف الحنابلة من التفسير: من المستبعد هذا الموقف الذي أورده هاريس متهما به علماء الحنابلة، خاصة وأنه سرعان ما عبر عن (اعتراف عام بالتفسير في القرن الثالث)، فقال: "عمل الطبري الرائع دليل واضح على الاعتراف العام بالتفسير حوالي القرن الثالث للهجرة"<sup>(٢٥)</sup>، وهذا الاعتراف يدل على خطأ استنباط هاريس، لأننا لنتسائل: هل الاعتراف العام وليد القرن الثالث أو أن له أسانيد متصلة بزمن النبوة ثم الصحابة ثم التابعين وتابعيهم؟ لا شك أنه ليس وليد سنة معينة وإنما هو وليد عشرات العقود السالفة من تداول العلم والآثار.

ثم لنتساءل هل نقل الطبري إلا ما ورده بسنده عن الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى وصله بالسند؟ فأين هذه المعارضة على طول قرنين تتابع تتافل العلماء فيه آلاف الآثار والأحاديث في تفسير كتاب الله تعالى، ومن المسلم به أن تفسير الإمام الطبري من التفسير بالمأثور<sup>(٢٦)</sup>، فهذا الاعتراف يدل على فساد فكرة المعارضة من أساسها. ثم أين كان الحنابلة حينما فسر الطبري القرآن؟ فلماذا لم يعارضوه، وهم رجال علم مثله، لهم مثل ما للطبري من علم وفهم، وأختم بنقل ما يقوله صاحب رسالة المباني إذ وكأنه يشرح حال هاريس في توهمات وتناقضاته واتهاماته، حيث يقول: "هذه الألفاظ اتخذوها ذريعة إلى الطعن على من فسر القرآن وذلك شيء حاولت به الزنادقة أن يلبسوا على الأمة أمر دينهم وتلقتهم

طائفتان من الناس: الأولى الجهال...، والثانية: الراضية فإنهم اعتمدوا على أنه لا سبيل إلى شيء من علم الدين إلا من جهة الإمام المعصوم الذي يدعونه حجة الله على عباده" (٧٧).

## المبحث الثالث: النتائج التي توصل لها هاريس ونقدها

خرج هاريس بعدة نتائج استخلصها في دراسته حول موضوع معارضة التابعين لتفسير القرآن الكريم، وسوف استعرض أهم هذه النتائج والتعقيب عليها:

### • النتيجة الأولى:

"النتيجة التي ينبغي استخلاصها عن يقين من الأحداث الموثوقة والمثبتة أنفا هي: أن التفسير حينما يرفضه المحدثون أهل الثقة عن المسلمين الأوائل كان له الدلالة نفسها، كما في سياقات أخرى. ويوجد أساس هذا الموقف المفترض في صورة خاصة بالتقوى المحدثثة لتلك الأيديولوجية المدهشة، وهذه الصورة الأكثر أهمية لتقوى المسلم، يبدو أنها تتضمن التحذير من تفسير أحاديث الرسول إلا أن التقوى من هذا القبيل وجدت خارج الإسلام حتى في أوروبا المعاصرة، مثلاً في بعض الجامعات المسيحية في النرويج، حيث غالباً ما تلقى تأويلات الكتاب المقدس، الإنجيل مشكك فيه وكأنها نمط افتراضي غير إلهي" (٧٨) ويرد على ذلك من وجوه:

أولاً: معلوم أن القرآن الكريم وكذا السنة النبوية يتسمان بمحدودية النصوص؛ لذا استقر لدى المسلمين الأوائل ما يعرف بمشروعية القياس، واستنباط الأحكام، تلك الرؤية التي لم يعارضها أحد من الصحابة أو التابعين وهي مستمدة من الكتاب والسنة فعنوان هاريس تغافل هذا الاتجاه الإسلامي الأصيل الذي المستمد من قول الله: **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا** [النساء: ٨٣].

ثانياً: إن هاريس اختار لفظة "التأويل" ذات الدلالة المغايرة لكلمة "التفسير"، وكأنه يفرق بينهما، وهو اتجاه يدل على ما ينتصر له من اتجاه فكري معين ساد في أوروبا منذ عصور الإصلاح بناء على الثورة على سلطة الكنسية وسلطات البابوات، ولا أود ظلم هاريس؛ لأن غالب المستشرقين اتسموا بهذه الرؤية وذلك الاتجاه الفكري السائد في أوروبا (٧٩) منذ القرن الخامس عشر، لكن مما يجب التوقف عنده هو سؤال: لماذا يتعامل المستشرق مع القرآن كما تعامل فلاسفة عصر الإصلاح (٨٠) مع الكتاب المقدس؟ هذا خلل منهجي يدل على عدم اتزان الرؤية وانعدام معرفة أوجه التفرقة الجذرية بين القرآن وبين الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، من حيث الزمان والمكان والمتلقي والأحوال والبيئات وغير ذلك، وفي ذلك غبن للقرآن، واستكانة للدعة دون تكبد عناء البحث والدرس في تصور الأشياء قبل إصدار الحكم عليها.

### • النتيجة الثانية:

(من الراجح جداً أن تلاميذ ابن عباس مارسوا في الواقع رواية الحديث إلا أن انشغالهم الأساس كان بدون شك هو التفسير، وقليل من المسلمين نجا وسلم من اعتراض معارضيه على نشاطه). (٨١) وربط هاريس هذه النتيجة بنتيجة أخرى عن ابن سعد الذي يراه بأنه عارض علم التفسير وكرهه لأنه كان "مضطراً لينقذ شهرته على نحو يثبت به إفتاءه وبراعته في الحديث..." (٨٢)، وهذا فيه تصوير عام بأن الأصل كان وقتئذ كراهية التفسير ومعارضته والاشتغال بالرواية الحديثية فقط. وهذا الكلام من هاريس يحمل عدة دلالات تدل على تناقض وخلل في الاستيعاب وتبني فيما يلي:

أولاً: غفل هاريس عن تدرج تدوين أصول الإسلام ومصادره، إن تدوين نص القرآن سبق على التدوين نصوص السنة، ومع هذا فقد بدأ تدوين السنة في حياة النبي عليه الصلاة والسلام على الصحيح الراجح لدى المحدثين لأمر النبي صلى الله عليه وسلم "اكتبوا لأبي شاه" (٨٣)، و(أحاديث الصادقة) للصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص (٨٤) وغيرها أمثلة شاهدة اليوم على تدوين السنة في العهد النبوي.

ثانياً: الواقع أن هاريس يفصل بين التفسير كعلم مرتبط بالقرآن، وبين الحديث كعلم مروى عن النبي أو الصحابة أو حتى التابعين في مجالات عديدة، وفي هذا ذهول تام، وغفلة عن طبيعة العلوم في عصر التابعين، وهو عصر سابق على (عصر التدوين المنهجي) بصورة واضحة، وإنما كان العلم يقوم على الرواية ونقدها وتمحيصها. أما التدوين للعلوم بمعناه المنهجي والعلمي بالتصنيف فقد بدأت بواكيره في أواخر القرن الأول كتفسير الحسن البصري ومجاهد ومقاتل وابن أبي حاتم وغيرهم، وهي محققة بين أيدينا اليوم شاهدة على عصرها، ثم أئيع التدوين، (٨٥) في القرن الثاني ثم دونت العلوم واضحة الموضوعات في القرن الثالث كتفسير الطبري، وفي القرن الرابع سميت العلوم بأسمائها واضحة هذا تفسير وهذا حديث وهذه أصول دين وهذا أصول فقه وهذا طب وهذا جبر، وهكذا.

ثالثاً: التابعون الممارسون لتفسير القرآن تحمل ممارساتهم هذه على أنه من التفسير بالمأثور، وهو يحمل على أمرين أولهما: أن يكون التابعي ينقل تفسير أستاذه من الصحابة كتلامذة ابن عباس - كما أشار هاريس نفسه - ثانيهما: يكون التفسير مقطوع على التابعي فيحمل على الرأي وهو مذموم إلا إذا تجرد عن حمل النص القرآني فوق ما يحتمل بتأويلات خالية عن القرائن الداعمة له من سياق أو إعراب لغوي يشهد بصحته. ثالثاً: لم يكن اعتراض ابن سعد أو غيره من العلماء على التفسير في عصر التابعين لذات التفسير، وإلا فإنه متاح بشروطه وضوابطه، من الوثوق بما يقوله المفسر ويشهد النص بصحته دون حمله على معان غريبة لا يسترعيها المقام أو يشهد بها عموم النص، أو خصوصه بسببه؛ لذا فإن من الظلم والإجحاف اتهام ابن سعد بالتجني على التابعين، أو كتمانهم تفسير أحد منهم، لأنه يرى ضرورة التثبت من التفسير قبل إرساله إلى العامة.

## • النتيجة الثالثة:

يرى هاريس وقوع المعارضة في القرن الأول الهجري في عصر التابعين، كما يرى تطور المعارضة؛ من معارضة لتفسير القرآن إلى معارضة للرأي في الفقه، وفي ذلك إشكالية مركبة تقوم على أولاً: (تسليم هاريس بوقوع المعارضة). ثانياً: (تطور المعارضة من معارضة للتفسير إلى معارضة في الفقه). أما (تسليم هاريس بوقوع المعارضة) فإن تصوره للمعارضة من الأساس - كما بينا أعلاه - مؤسس على خلط فكري لا يتناسب مع طبيعة هذه الفترة المبكرة من حياة الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عام (١١هـ / ٦٣٣م)، فقد ترك النبي للصحابة منهجاً حكيمًا، يتمثل في الأخذ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم بالإجماع ثم باجتهد الرأي من خلال القياس على أصل وارد في الكتاب أو في السنة، والشاهد علة ذلك ما وقع في حالات الفتوى والقضاء المعروفة عن بعض الصحابة في حياة النبي عليه الصلاة والسلام، ومعاذ بن جبل خير مثال على ذلك، كما مارسها بعض التابعين في حياة الصحابة وشريك القاضي في حياة الإمام علي أوضح مثال كذلك. كما تؤسس المعارضة من وجهة نظر هاريس على تصور هو الجمود على النص، أو على عشوائية أشار إليها في قوله: (ولم تكن هذه معارضة مبنية على أساس) (٨٦) لأن هذه مغالطة في رؤيته للمعارضة؛ لأمر يسير هو أن هناك اتجاهين فكريين رئيسيين في الفكر الإسلامي بصفة عامة، ظهر كلاهما في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذان الاتجاهان هما: اتجاه أثر الوقوف على ظاهر النص، واتجاه مال إلى الأخذ بعله النص ومغزى المتكلم، والنبي عليه الصلاة والسلام أيد كلا الاتجاهين في الواقعة المشهورة بين الصحابة رضي الله عنهم حينما قال النبي: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة..." (٨٧) فقد فهم بعض الصحابة رضي الله عنهم حقيقة النهي عن الصلاة إلا في هذا المكان وفهم آخرون علة النهي وغرض النبي صلى الله عليه وسلم منه، وعلى كلا السبيلين كان التابعون ثم الفقهاء والعلماء العاملون من بعدهم، فلم يدرك هاريس هذه الطبيعة السائدة للفكر الإسلامي منذ أعوامه الأولى. ومن ناحية ثانية فقد وقع الصحابة أنفسهم فيم يسمى ب(اختلاف التنوع) وهو مشروع متاح ومباح، ويعزز ذلك دعوات القرآن لتدبر آياته والتفكير والتفكر؛ كاختلاف البعض مع عمر رضي الله عنه في عدم توزيع الأرض المفتوحة بين الغانمين، واختلاف البعض مع عثمان رضي الله عنه في إتمام الصلاة في الموسم وغير ذلك. وهذا الاختلاف مسموح به في الإسلام، ولا يكون إلا من ذي علم ومعرفة وفقه، على ألا يتطور إلى خلاف ونزاع، لأن الوحدة أولى من الخلاف. ومن ناحية ثالثة فإن هاريس يصور لنا المعارضة على صورة من الجمود والتشدد والتعصب وهذا ما ينزّه عنه جيل التابعين أنفسهم، فضلاً عن جيل الصحابة، فليس في حياة التابعين في القرن الهجري الأول هذه المعارضة بالصورة التي تبناها هاريس لأنها تحمل ما أفهم النزاع، والشقاق، ونشوب الخلاف بينهم فهم أبعد من ذلك بمراحل. كما أن مصطلح (المعارضة) الذي تبناه هاريس وأسس في بحثه يحمل خطأً فكرياً ومعنىً أكيداً ل(النزاع أو الشقاق)، وخاصة عند إصراره على وجود وتصور ما يسمى بالمعارضة المؤدلجة، وهذ رؤيته الخاصة. إن هذه الرؤية لها مخالفة لواقع هذه الفترة، التي ينقضها ويخالفها تمام المخالفة ما ظهر في جيل الصحابة من المدارس العلمية الأولية في مختلف الأمصار الجديدة، حيث أدوا الميراث الذي تحملوه عن النبي عليه الصلاة والسلام الذي أمر بالبلاغ عنه، ثم كان تنوع الصحابة في نسبة ما استفادوه من ميراث العلم النبوي بين زيادة وكثرة أو قلة ونقصان، وكان لدى بعضهم من العلم ما ليس عند الآخر، بناء على ذلك فإن تصور هاريس لاتجاه المعارضة مشوب بخلط ومغالطة، هذا بالنسبة للشق الأول من كلام هاريس، وليس بالأمر الخفي على العاقل ما أورثته تلك المدارس العلمية من رواج للاجتهد والفكر وقراءة الواقع بروح الشرع ونصوصه وأعراف البيئات وتقاليد الأمم وتطلع هم العلماء إلى إصابة الحق والصواب في الاجتهاد. أما بالنسبة لما ترتب على (التسليم بوقوع المعارضة) من تطورها من معارضة في (التفسير) إلى معارضة في (الفقه) فإن تصوره هذا يعتريه الخلل من وجوه عديدة؛ لأنها ليست معارضة بالمعنى العناد والتأبي على الرأي الآخر، أو النزاع والشقاق كما يتضح من قراءة هاريس لهذه الفترة، إنما اختلاف مشروع - كما سبق بيانه. لذلك وقع الاختلاف بين الصحابة فلم يضاروا، لأن هذا شأن بشري

طبيعي حتى غرست البذرة الأولى للمدارس العلمية في عهد الصحابة، ثم أينعت في عهد التابعين، ثم أثمرت وآت أكلها فيما تلاها من عهود الأئمة الفقهاء. إن عبد الله بن مسعود أسس المدرسة العلمية في العراق التي تتلمذ على يده التابعون، والتي امتدت حتى أفرزت لنا في القرن الأول الفقه النعماني لأبي حنيفة (ت. ١٥٠ هـ) الذي اعتمد الرأي والقياس في بعض المسائل الفقهية، بينما كان في المدينة النبوية أنس بن مالك وعبد الله بن عمر، مدرسة علمية أفرزت لنا الفقيه إمام دار الهجرة مالك (ت. ١٧٩ هـ) الذي اعتبر عمل أهل المدينة، وكذلك كان لابن عباس الحبر المفسر مدرسة علمية في مكة، التي أفرزت لنا الفقه الشافعي (ت. ٢٠٤ هـ)، الذي أسس الأصول العامة للفقه الإسلامي بعدما تتلمذ على يد محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة، كما جالس مالك، وأخذ عنه الفقه ثم تدرسا المسائل، حتى ظهرت المدرسة الحنبلية لأحمد بن حنبل (ت. ٢٤١ هـ) التي تأسست على الحديث والأثر، بعدما دوّنت السنة وجمع ما لم يجمع غيره من الأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة والتابعين.<sup>(٨٨)</sup> إن المدارس الفقهية المفترزة عن الاختلاف بين الفقهاء هي في الواقع أمر دال على صحة البيئة العلمية في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الأمة والتي تدل على اجتهادات مؤصلة ومبنية على أسس علمية يسندها النقل الصحيح والعقل الصريح. ومن قرأ التراث الفقهي في تلك الفترة وما تلاها أدرك أن العقلية المسلمة استوعبت الإسلام قدر جهدها حتى توصلت إلى اجتهادات جديدة تواكب عصرها.

إذن كانت رؤية هاريس يعترئها جانب يشوبه صواب من وجه وقوع الاختلاف بتفسير وترجمة المعارضة التي ذكرها بهذا الاختلاف وهو أمر طبيعي يدل على الصحة العقلية للأمة، فأمة الرأي الواحد لا تستقيم أوضاعها الفكرية غالباً ما دام الاختلاف وقع بصورة صحيحة مترفعة عن عشوائية الفكر، أما إذا فسرت المعارضة بغير ذلك فإنه يعترئها الخلل والنقص. وإن هاريس يشير إلى بداية اتخاذ السنة أصلاً تشريعياً فيقول: (أصبح الحديث كذلك واضحاً بذاته)<sup>(٨٩)</sup> كما يشير إلى بداية اتخاذ الإجماع دليلاً فيقول: (أصبح الإجماع سائداً في التفسير كالحال في الفقه)<sup>(٩٠)</sup> وهذا خلل كذلك في تصور حقيقة (المصادر الإسلامية)، لأنه من المعلوم المسلم به أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم من بين تلك المصادر الأساسية للمسلمين، فالكتاب هو المصدر الأول ثم السنة ثم الإجماع ثم القياس، فلم يكن بخافٍ على أحد تلك المصادر الأصلية، وإن اختلفوا في ذلك بين مقل ومكثر، وبين عالم بالجميع أو بالبعض دون البعض. وهاريس في هذا الجانب يردد النتائج غير العلمية للمستشرقين مثل غولدتسيهر وشاخت في أن الحديث والسنة النبوية لم يكن لها أهمية فيما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما قبل نهاية القرن الثاني - كما يزعمون - وذلك عندما ألف الشافعي كتابه الرسالة وبين أهمية السنة النبوية كمصدر للشريعة الإسلامية.<sup>(٩١)</sup>

\* **هاريس يتناقض مع نفسه:** أورد هاريس قصة صبيغ الذي أوجعه عمر لما سأل عن متشابه القرآن ثم عقب عليها بقوله (عمر لم يكن بحال من الأحوال يمنع من التأويل لأن معارضة التفسير من حيث هي معارضة لم تكن بالإمكان أن تبتدئ في زمن مبكر مثل زمن عمر إذ لو كان كذلك لكان اتساعه التالي أو الخوض فيه غير معقول وكيف يمكن أن نعلل لحركة معارضة ونقد ابن عباس الذي كان عمره آنذاك ٢٦ سنة حينما قتل عمر إذ لا شك كان يستحق عقوبة أشد قسوة من صبيغ)<sup>(٩٢)</sup> فالاعتراف بعدم منع عمر من التأويل دليل على أن صبيغ لم يكن مفسراً للقرآن، كما أن ترك عمر لابن عباس يفسر القرآن دليل على المشروعية والإباحة وجواز تفسير القرآن، لكن هاريس لم يظهر وجه الارتباط بين تلك المساحة من حرية التفسير وبين أقوال أئمة التابعين التي أوردها سلفاً، تلك إشكالية لم يبينها هاريس.

## الذاتة

يمكن الوقوف بعد التطواف في كتاب هاريس بيركيلاند (معارضة المسلمين الأوائل لتأويل القرآن) على النتائج والتوصيات التالية:

### أولاً النتائج:

- ١- يظهر لي أن علاقة المستشرق هاريس بعلم التفسير ورجاله المفسرين لم تقم على الحب المجرد لكسب المعرفة بقدر ما كانت قائمة على تحقيق إرادة لاستكمال مسيرة سابقه من المستشرقين، لأن التواصل العلمي بين المستشرقين سمة عامة بينهم.
- ٢- ردد هاريس مقولات التابعين التي تناولها إغانتس غولدتسيهر المجري، ومقولات آرثر جيفري الإنجليزي؛ ليخرج من بين ذلك بمقولات شبه جديدة وهي في الواقع وحقيقة الأمر اجترار لما سبق عرضه في كتب أساتذته المستشرقين.
- ٣- التخبط المنهجي لهاريس بيركلاند وخضوع المنهج لديه للتحيز والإسقاط الخاطيء لما في ثقافته النصرانية فيما يتعلق بتفسير الإنجيل على تاريخ تفسير القرآن الكريم وبداياته.
- ٤- عدم تفرد المدرسة الاسكندنافية في الدراسات القرآنية أو اتساقها مع الموضوعية في الطرح والفهم المتمثلة هنا في عمل هاريس بيركلاند من حيث تحليل النصوص وفهم السياق التاريخي لنشأة علم التفسير في الفترة المبكرة من الإسلام.

٥- لم يحجم كثير من الصحابة والتابعين إجمالاً كلياً عن الكلام في التفسير، وإنما وقع التفاوت بينهم في فهم القرآن، فيقف الواحد منهم عندما لا يكون له علم بذلك.

## ثانياً التوصيات:

- ١- إن الكثير من كتب المستشرقين كتبها مؤلفوها بلغتهم الأصلية، وهذا يعد عائقاً عاماً يدعو مؤسسات الترجمة إلى ضرورة ممارسة دروها، بـ(كسر هذا الحاجز اللغوي) بترجمة مؤلفات المستشرقين بكافة لغات مؤلفيها الأصلية بأمانة ودقة؛ ليطلع عليها العلماء والباحثون المسلمون بغية التعرف على ما يقول الغرب عن الإسلام والدفاع عنه.
- ٢- ضرورة إنشاء مراكز بحثية في الجامعات تعنى بالتعرف على المقولات الاستشراقية الممتدة التي يتوارثها المستشرقون جيلاً من بعد جيل، بغية تكوين رؤية عامة وشاملة عن الفكر الاستشراقي وتصنيفه وتقسيمه قرناً من بعد قرن.

## المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- (أحاديث الصادقة- صحيفة عبدالله بن عمرو بن العاص) جمعها وحققها محمد سيف الدين عليش، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة (١٩٩٥).
- ٣- (أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله) عياض بن نامي بن عوض السلمي الناشر: دار التدمرية، الرياض السعودية- الطبعة: الأولى، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- ٤- (الإبانة الكبرى) ابن بطة عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، (د: ط، ت).
- ٥- (الإتقان في علوم القرآن) جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م).
- ٦- (الاستشراق في فكر محمد أركون بين الشعور بالمديونية والرغبة في التجاوز) الحسن العياقي - مجلة المعرفة، بيروت لبنان - السنة الرابعة عشر، العدد (٥٥) سنة (٢٠٠٩).
- ٧- (التفسير والمفسرون) محمد السيد حسين الذهبي، (ت: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، (د: ط، ت).
- ٨- (السنة قبل التدوين) محمد عجاج الخطيب، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- ٩- (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) د. محمد البهي، الناشر: مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة: العاشرة، (د: ت).
- ١٠- (الفكر الأصولي واستحالة الأصالة- نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي) محمد أركون، ترجمة: هاشم الصالح، الناشر: دار الساقي بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٩٩٩).
- ١١- (الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي)، محمد بن الحسن الثعالبي، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٤١٦هـ).
- ١٢- (المستشرقون) نجيب العقيقي، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار المعارف القاهرة- مصر، (١٩٦٤م).
- ١٣- (الموسوعة العربية العالمية)، مجموعة من الخبراء والمتخصصين، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة (١٩٩٩).
- ١٤- (بحوث في تاريخ السنة النبوية)، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، (١٩٨٤).
- ١٥- (تفسير التُسْتَرِي)، سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُسْتَرِي، جمع: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).
- ١٦- (تفسير الحسن البصري)، الإمام الحسن البصري، جمع وتوثيق ودراسة: د. محمد عبد الرحيم. الناشر: دار الحديث بالقاهرة الطبعة الأولى سنة (١٩٩٢).
- ١٧- (تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم)، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي ابن أبي حاتم أبو محمد، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ).



- ١٨- (تفسير مجاهد) مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي أبو الحجاج، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، (١٩٨٩/هـ ١٤١٠م).
- ١٩- (تفسير مقاتل بن سليمان)، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٣هـ).
- ٢٠- (دراسات محمدية) إغناطس غولدتسيهر، ترجمة: الصديق بشير نصر، (د: ط، ت).
- ٢١- (سنن الدارمي / مسند الدارمي)، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ / ٢٠٠٠م).
- ٢٢- (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة: بيروت، ط ١، (١٤٢٢هـ).
- ٢٣- (صحيح مسلم)، محمد بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤١٢هـ).
- ٢٤- (مذاهب التفسير الإسلامي) إغناطس غولدتسيهر، ترجمة: عبد الحلیم النجار، تقديم ودراسة: محمد عوني عبد الرؤوف، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة (٢٠١٣).
- ٢٥- (معارضة المسلمين الأوائل لتأويل القرآن) هاريس بيركيلاند، ترجمة: قنيني عبد القادر، مراجعة: ماجد شبر، وتقديم: د. مخلص البورقادي، مراجعة د. ياسين السالمي، الطبعة الأولى، الناشر: دار الوراق، لبنان بيروت، سنة (٢٠١٩م).
- ٢٦- (معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة) محمد بن حسين الجيزاني، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الخامسة، (١٤٢٧هـ).
- ٢٧- (مفهوم تجديد الدين)، بسطامي محمد سعيد خير، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الطبعة الأولى، (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).
- ٢٨- (مقدمة في أصول التفسير)، شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، (١٤٩٠هـ / ١٩٨٠م).
- ٢٩- (مقدمتان في علوم القرآن) لعبد الحق بن غالب ابن عطية، تصحيح: المستشرق الإنجليزي آرثر جيفري، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة (١٩٥٤).
- المواقع الإلكترونية:

30- <https://www.almothaqaf.com/qadayaama/qadayama-09/20435>

31- <https://global.oup.com/academic/content/series/q/quranic-studies-series-qss/?cc=us&lang=en&>

32- <https://ar.wikipedia.org/wiki/محمدأركون>

33- <https://vb.tafsir.net/forum>

## هوامش البحث

(١) الاستشراق الإسكندنافي: أي التابع للدول الإسكندنافية وهي تشمل دولة السويد والنرويج والدنمارك وآيسلندا، أما فنلندا فتتبع للدول الإسكندنافية من حيث الموقع الجغرافي فقط؛ لأن لغتها الأولى الفنلندية لغة قريبة إلى اللغة المجرية والتركية وتعتبر اللغة السويدية لغة البلد الثانية؛ لذا فإن الدول الإسكندنافية البحتة يعنى بها السويد والنرويج والدنمارك. ينظر: <https://www.almothaqaf.com/qadayaama/qadayama-09/20435>

(٢) ومن ذلك ما تقوم به جامعة أكسفورد في بريطانيا من إصدار أبحاث ودراسات متخصصة بشكل دوري تحت مسمى (سلسلة الدراسات القرآنية)، وهدفها دراسة كل ما يتعلق بالقرآن الكريم من جوانب تاريخية وفكرية وشرعية ولغوية، وتقديم دراسات تحليلية سياقية ودراسات مسحية لكل ما أنتجه المسلمون حول القرآن الكريم بدءاً من القرون الأولى للإسلام إلى يومنا هذا. ينظر موقع الجامعة الإلكتروني:

<https://global.oup.com/academic/content/series/q/quranic-studies-series-qss/?cc=us&lang=en&>

(٣) نجيب العقيقي، المستشرقون، ط ٣ (دار المعارف: القاهرة، ١٩٦٤م)، ٢/٨٣٥ و ٣/٨٨٧.

(٤) المرجع السابق، ٣/٩٠٠.

(٥) المرجع السابق.

(٦) ينظر مقدمة كتابه معارضة المسلمين الأوائل، ص ٩.

- (٧) مفكر ومؤرخ جزائري الأصل دخل مدرسة الآباء البيض التبشيرية بالجزائر، ودرس في السوربون على يد المستشرق الفرنسي لوي ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢)، وحصل على الدكتوراه منها عام (١٩٨٠)، وقد قام فيه بنقد العقل الإسلامي، من آرائه زحزحة مسألة الوحي من الإيمان العقائدي، وزعم تحريف القرآن. يراجع: محمد أركون / <https://ar.wikipedia.org/wiki/محمدأركون>
- (٨) محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة الأصالة- نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة هاشم الصالح (دار الساقى، بيروت، ١٩٩٩)، ص ٣٢ بتصرف يسير. وينظر بحث "الاستشراق في فكر محمد أركون بين الشعور بالمديونية والرغبة في التجاوز"، الحسن العباقي - مجلة المعرفة، بيروت، السنة الرابعة عشر، العدد (٥٥) سنة (٢٠٠٩).
- (٩) هاريس بيركيلاند، معارضة المسلمين الأوائل لتأويل القرآن، ترجمة: قنيني عبد القادر، ط ١، (دار الوراق: بيروت، ٢٠١٩)، ص ٣٣.
- (١٠) معارضة المسلمين، ص ٧٣.
- (١١) شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الكوفي الإمام الكبير، شيخ الكوفة. ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٩٨٥)، ٤/ ١٦١.
- (١٢) ينظر: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ت. إحسان عباس (دار صادر: بيروت، ط ١، ١٩٦٨)، ٦/ ١٠٠.
- (١٣) معارضة المسلمين، ص ٣٤.
- (١٤) عبيدة بن قيس أو عبيدة بن عمرو السلماني المرادي الكوفي، الفقيه المرادي الكوفي أحد الأعلام، وسلمان جدهم، هو ابن ناجية بن مراد، أسلم عبيدة في عام فتح مكة، بأرض اليمن، ولا صحبة له. ينظر الأعلام، ٤/ ٤٠، والطبقات الكبرى، ٦/ ٩٣.
- (١٥) الطبقات الكبرى، ٦/ ٩٤.
- (١٦) لم أعثر على هذا القول، ولم يقل سعيد بن جبير ذلك وقد اعترف هاريس (معارضة المسلمين، ص ٦٠-٦١) بهذا بعدما رجع إلى أقوال ابن حجر والذهبي في ترجمة سعيد.
- (١٧) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، قال عبيد الله بن عمر: كان القاسم لا يفسر القرآن. الأعلام، ٥/ ٥٣-٥٩.
- (١٨) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي: أحد فقهاء المدينة السبعة. الأعلام ٣/ ٧١.
- (١٩) عبد الله بن عون بن أرطبان. ينظر: الأعلام، ٦/ ٣٦٤-٣٧٥.
- (٢٠) معارضة المسلمين، ص ٣٨.
- (٢١) المرجع السابق، ص ٤٠.
- (٢٢) المرجع السابق، ص ٣٦.
- (٢٣) هو قتادة بن دعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة السدوسي، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، قال ابن سعد: قال قتادة: "ما قلت برأيي منذ أربعين سنة". ينظر: الطبقات الكبرى (٢٢٩/٧) والأعلام (٢٦٩/٥).
- (٢٤) معارضة المسلمين، ص ٥٥، ٦٠.
- (٢٥) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ الإمام العلم عالم أهل المدينة سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. ينظر: الأعلام، (٢١٧/٤-٢٤٦).
- (٢٦) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي، ولد، ونشأ بالكوفة، واتصل بعبد الملك بن مروان، واستقضاه عمر بن عبد العزيز. ينظر: الأعلام (٢٩٤/٤) ومعجم المؤلفين (٥/ ٥٤).
- (٢٧) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب مفسر فقيه، أندلسي. ينظر: الأعلام (٢٨٢/٣)، ومعجم المؤلفين (٥/ ٩٣).
- (٢٨) الطبقات الكبرى، (١٣٧/٥).
- (٢٩) معارضة المسلمين، ص ٤١.
- (٣٠) المرجع السابق، ص ٥٥.
- (٣١) معارضة المسلمين، ص ٣٥-٣٦.
- (٣٢) المرجع السابق، ص ٤١-٤٢.
- (٣٣) المرجع السابق، ص ٤٤.

- (٣٤) هذه المقولة لم ترد في كتب التراجم، لكن أوردها ابن تيمية في كتابه (مقدمة في أصول التفسير) وسيأتي توجيهها.
- (٣٥) معارضة المسلمين، ص ٥١-٥٢.
- (٣٦) المرجع السابق، ص ٥٥.
- (٣٧) عبد الملك بن قريب بن علي الأصمعي الباهلي، رواية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. ينظر: الأعلام، (١٦٢/٤)، ومعجم المؤلفين، (١٨٧/٤).
- (٣٨) معارضة المسلمين، ص ٤٦-٤٧.
- (٣٩) المرجع السابق، ص ٦٢-٦٤.
- (٤٠) وفيات الأعيان، ٢ / ٣٧٢.
- (٤١) معارضة المسلمين، ص ٦٤، ٦٦.
- (٤٢) المرجع السابق، ص ٦٤.
- (٤٣) معارضة المسلمين، ص ٦٨-٧٠.
- (٤٤) السابق، ص ٦٠.
- (٤٥) السابق، ص ٨٤.
- (٤٦) السابق، ص ٨٧.
- (٤٧) السابق، ص ٨٦-٨٧.
- (٤٨) السابق.
- (٤٩) السابق، ص ٨٩.
- (٥٠) السابق، ص ٩٠.
- (٥١) هذا قول ليحيى بن أبي كثير، أخرجه الدارمي في سننه (١ / ٤٧٤) تعليق المحقق: إسناده جيد، وينظر: ابن بطّة العكبري، الإبانة الكبرى، (دار الريا لل نشر والتوزيع، الرياض، د ط، ت)، ١ / ٢٥٤.
- (٥٢) معارضة المسلمين، ص ٩٢، نقلا عن (دراسات محمدية) لاغناس غولدتسيهر، ترجمة: الصديق بشير نصر، (د: ط، ت)، ص: ٢٨-٢٩.
- (٥٣) الدوغمائية هي تعريب لكلمة (Dogmatism)، ولها ترجمات عديدة، مثل: وثوقية، قطعية، توكيدية، إيقانية، معتقدية، وهي تعني الاعتقاد الجازم واليقين المطلق دون الاستناد إلى براهين يقينية، وإنكار الآخر ورفضه باعتباره على باطل مطلق، ومن ثم فهي مبدأ التعصب، وسمة لكل متزمت، ومنتشأ الحروب العقائدية. هذا المصطلح نسبي بمعنى أنه كما يطلق على جهة يمكن أن يطلق على الجهة المقابلة المتعصبة لرأي من الآراء وبناء عليه فهو مصطلح نسبي وليس مطلق المحدودية. للمزيد ينظر: جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية (دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠٤)، ص ١٩١.
- (٥٤) قال ابن سعد: (أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ولم يلقه)، الطبقات الكبرى، ٦ / ٩٣.
- (٥٥) معارضة المسلمين، ص ٥٥ و ٦٦.
- (٥٦) الطبقات الكبرى، ٧ / ٢٢٩.
- (٥٧) الأعلام، ٥ / ٢٦٩.
- (٥٨) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢٠)، ١ / ٧٦-٧٨.
- (٥٩) للمزيد عن موقف التابعين في التفسير ينظر: مساعد بن سليمان الطيار، فصول في أصول التفسير (دار النشر الدولي: الرياض، ١٤١٣)، ص ٣٥-٣٨. وانظر مقالات المؤلف بهذا الخصوص على الموقع الإلكتروني: <https://vb.tafsir.net/forum>
- (٦٠) المرجع السابق.
- (٦١) الطبقات الكبرى، ٦ / ١٠١.
- (٦٢) معارضة المسلمين، ص ٣٤-٣٦.

- (٦٣) أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا** (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠)، ص ١٥٨/٣.
- (٦٤) مطبوع بإسم (تفسير الحسن البصري)، جمع وتوثيق ودراسة دكتور محمد عبد الرحيم، دار الحديث: القاهرة، دت، ومطبوع بإسم مرويات **الحسن البصري** في التفسير في جزئين، وهما رسالتا دكتوراه في الأصل في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- (٦٥) ينظر: ابن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير** (دار مكتبة الحياة: بيروت، ١٤٩٠هـ/١٩٨٠م)، ص ٢٢، وجمال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص ٢٠٥/٤.
- (٦٦) **مقدمة في أصول التفسير**، ص ٢٢، و**الإتقان في علوم القرآن**، ص ٢٠٥/٤.
- (٦٧) محمد السيد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون** (مكتبة وهبة: القاهرة، ٢٠٠٠)، ص ٣٨/١.
- (٦٨) الخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٩٩٦)، ص ١٦٢/٢.
- (٦٩) **معارضة المسلمين الأوائل**، ص ٥٥.
- (٧٠) **تذكرة الحفاظ**، ص ٧٤/١.
- (٧١) الإمام، **الحافظ**، أحد الأعلام، أبو نصر الطائي مولاها، اليمامي. ينظر: **الأعلام**، ص ٢٧/٦.
- (٧٢) عبد الله الدارمي، **السنن**، تحقيق حسين سليم أسد الداراني (دار المغني للنشر والتوزيع: الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م). وينظر: **معارضة المسلمين**، ص: ٩٢، نقلا عن دراسات محمدية لاغناس غولدسيهر، ترجمة: الصديق بشير نصر (مركز العالم الإسلامي لدراسة الاستشراق: لندن، ط ٢، ٢٠٠٩)، ص ٣٧-٣٨.
- (٧٣) اختلف الأصوليون في جواز استقلال السنة بتأسيس حكم شرعي، والأرجح جوازه؛ إذ له شواهد منها: تحريم (زواج المرأة على عمتها أو خالتها). والمقصود باستقلال السنة بالتشريع أن تأتي بما لم يُنص عليه في الكتاب، إما بوحى غير القرآن، وإما باجتهاد معصوم فيه. للمزيد عن هذه المسألة ينظر: محمد لقمان السلفي، **السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام والرد على منكريها** (مكتبة الأيمان، المدينة المنورة، ١٩٨٩).
- وعياض بن نامي بن عوض السلمي، **أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله** (دار التدمرية، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ)، ص ١١٥.
- (٧٤) وحي القرآن بلفظه ومعناه معجز متحدى به ومتعبد بتلاوته، أما وحي السنة فإنه بالمعنى فقط؛ لذا لم نتعبد بقراءتها.
- (٧٥) **معارضة المسلمين**، ص ٨٩.
- (٧٦) يقول محمد السيد حسين الذهبي: "يُعتبر تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يُعتبر المرجع الأول عند المفسرين الذين عُنا بالتفسير النقلي... فإن ما جمعه ابن جرير في كتابه من أقوال المفسرين الذين تقدموا عليه، وما نقله لنا من مدرسة ابن عباس، ومدرسة ابن مسعود، ومدرسة علي بن أبي طالب، ومدرسة أبي بن كعب، وما استفاده مما جمعه ابن جريج والسدي وابن إسحاق وغيرهم من التفاسير جعلت هذا الكتاب أعظم الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور"، ينظر كتابه: **التفسير والمفسرون**، ص ١٤٩/١ و١٥٩.
- (٧٧) ينظر: ابن عطية، **مقدمتان في علوم القرآن**، تصحيح المستشرق الإنجليزي، آرثر جيفري (مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٤)، ص ١٨٤.
- (٧٨) **معارضة المسلمين**، ص ٤٨.
- (٧٩) لقد قاس غولدسيهر القرآن على الإنجيل في أول سطر من كتابه **مذاهب التفسير الإسلامي** فقال: "كذلك يصدق على القرآن ما قاله في الإنجيل العالم اللاهوتي التابع للكنيسة الحديثة بيتر فير نفلس: كل امرئ يطلب عقائده في هذا الكتاب المقدس وكل امرئ يجد فيه على وجه الخصوص ما يطلبه" ينظر: **مذاهب التفسير الإسلامي**، ترجمة: عبد الحليم النجار (منشورات الجمل: بيروت، ٢٠١٣)، ص ٤١.
- (٨٠) **عصر الإصلاح الديني**: حركة دينية نصرانية ظهرت في القرن الـ ١٦ بأوروبا أدت لوجود البروتستانتية وكان لها أثر على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أوروبا، وهي تنافس الكنيسة الكاثوليكية، من دعائها مارتن لوتر (١٤٨٣-١٥٤٦)، وهولدريتش زوينجلي (١٤٨٤-١٥٣٢)، وجون كالفن (١٥٠٩-١٥٦٤). نالت اعتراف الامبراطورية المقدسة سنة (١٥٥٥). ينظر: **الموسوعة العربية العالمية**، مجموعة من الخبراء والمتخصصين (مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٩)، ص ٢٥٠/٢ - ٢٥٢.
- (٨١) **معارضة المسلمين**، ص ٧٨.
- (٨٢) المرجع السابق، ص ٧٧.

(٨٣) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (دار طوق النجاة: بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ)، ١٢٥/٣ / ح: ٢٤٣٤، ومسلم في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤١٢)، ٩٨٨/٢ / ح: ١٣٥٥.

(٨٤) أحاديث الصادقة- صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص، جمعها وحققتها محمد سيف الدين عليش (الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٥).

(٨٥) عصر التدوين: التدوين والتصنيف المشهور والرسمي، الذي كان في مطلع القرن الهجري الثاني تَمْشياً مع عرف علماء الحديث، والذي يعود الفضل فيه إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، ذلك لأنه قد ثبت تدوين جانب من السُنَّة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وعهد الصحابة رضي الله عنهم. ينظر: أكرم ضياء العمري، بحوث في تاريخ السنة النبوية (مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، ١٩٨٤).

(٨٦) معارضة المسلمين، ص ٨٧.

(٨٧) أخرجه البخاري في صحيحه، ١٥ / ٢ / ح: ٩٤٦.

(٨٨) ينظر: محمد بن الحسن الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٦هـ).

(٨٩) معارضة المسلمين، ص: ٨٨.

(٩٠) المرجع السابق، ص: ٨٨.

(٩١) قام الدكتور محمد مصطفى الأعظمي بالرد العلمي والمنهجي على آراء هؤلاء المستشرقين في نقده لكتاب شاخنت (أصول الفقه المحمدي)، في كتابه أصول الفقه الإسلامي للمستشرق شاخنت.. دراسة نقدية (جامعة الملك سعود، الرياض، ترجمة عبد الحكيم المطرودي، ٢٠٠٤).

(٩٢) معارضة المسلمين، ص ٤٤-٤٥.